

أضواء البيان

@ 152 @ .

ونص صريح في تنزيه الله سبحانه وتسيحه عما قالوا . . .
ثم جاء حرف الإضراب عن قولهم : { بَلْ لَّسَّهٗ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رُضًى كُلِّسٌ لَّسَّهٗ فَنَانِتُونِ } ، ففيه بيان المانع عقلاً من اتخاذ الولد بما يلزم الخصم ، وذلك أن غاية اتخاذ الولد أن يكون باراً بوالده ، وأن ينتفع الوالد بولده . كما في قوله تعالى : { الْوَالِدُ وَالْوَالِدَاتُ وَالْأُمَّهَاتُ وَالْأُمَّهَاتُ وَالْأُمَّهَاتُ وَالْأُمَّهَاتُ } ، أو يكون الولد وارثاً لأبيه كما في قوله تعالى عن نبي الله صلى الله عليه وسلم : { فَهَبْ لِي مِن لَّدُنْكَ وَلِيًّا يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنِّي آلِيَ يَعْقُوبَ } . . .
والله سبحانه وتعالى حي باق يرث ولا يورث كما قال تعالى : { كُلُّسٌ مِّنْ عِلَالِيَّهَا فَانٍ وَيَبْقَىٰ وَجْهٌ رَبِّكَ } . . .

وقوله : { وَاللَّسَّهٗ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رُضًى } . . .
فإذا كان لله سبحانه وتعالى كل ما في السماوات والأرض في قنوت وامثال طوعاً أو كرهاً ، كما قال تعالى : { وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَانِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا * إِنَّ كُلُّسٌ مِّنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رُضًى إِلَّا آتَى الرَّحْمَانُ عَبْدًا } . . .
فهو سبحانه وتعالى ليس في حاجة إلى الولد لغناه عنه . . .
ثم بين سبحانه قدرته على الإيجاد والإبداع في قوله تعالى : { بَدَعَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رُضًى وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّا نَسْمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ } . . .
وهذا واضح في نفي الولد عنه سبحانه وتعالى . . .

وقد تمدح سبحانه في قوله : { وَقُلِ الْوَالِدُ وَالْوَالِدَاتُ وَالْأُمَّهَاتُ وَالْوَالِدَاتُ وَالْوَالِدَاتُ وَالْوَالِدَاتُ }
وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِّنْ الذُّلِّ وَكَبِيرٌ } . . .

أما أنه لم يولد . فلم يدع أحد عليه ذلك . لأنه ممتنع عقلاً ، بدليل الممانعة المعروف وهو كالاتي : .

لو توقف وجوده سبحانه على أن يولد لكان في وجوده محتاجاً إلى من يوجدده ، ثم يكون من يلدده في حاجة إلى والد ، وهكذا يأتي الدور والتسلسل وهذا باطل .